دراسات عن الأدب الجاهلي على أساس مبدأ التأثير والتأثر
(بالاعتماد على كتاب المجاني الحديثة المجلد الأول)

الدكتور محمد تقي زندوكيلي
استاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بجامعة سيستان وبلوشستان، زاهدان، إيران
Mt_zand@hamoon.usb.ac.ir
عبيد اله كوچ توتازهي (الكاتب المسؤول)
طالب دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيستان وبلوشستان، زاهدان، إيران
totazahi054@gmail.com

Essays on pre-Islamic literature based on the principle of influence and impact
(Based on the free book Al-Hadith , Volume1)

Dr. Mohammad taghi zandvakili
Associate Professor , Department of Arabic Language and Literature , University of Sistan and Baluchestan , Zahedan , Iran
Obeydollah Koch Totazahi (Corresponding author)
PhD student in Arabic Language and Literature, University of Sistan and Baluchestan, Zahedan, Iran

الملخص:-

الشعر الجاهلي هو صورة ملونة لحياة العرب في العصر الجاهلي، تصور جوانب من حياتهم، ولهذا سمي الشعر الجاهلي بالديوان العربي لأنه مرآة كاملة للحياة البدائية. إن التشابهات والتقاربات الدلالية في شعر هذه الفترة شائعة جداً، لدرجة أن الشاعر الجاهلي كان أحيانًا يأخذ بيتًا أو أبياتًا من شاعر آخر تمامًا أو يتحدث عن مواضيع وقضايا مماثلة. في هذا المقال تناول الباحث المجاني الحديثة المجلد الأول الذي يعد من أهم مصادر الشعر الجاهلي، ودرس مكوناته مستخدماً المنهج الوصفي التحليلي. التثبيط والتعزيل في قصائد شعراء هذه الفترة. ويسعى الباحث في هذا البحث أيضاً إلى إظهار مدى تكرار التشابه اللفظي والدلالي في شعر هذه الفترة. وبعد البحث تبين أن شعراء ما قبل الإسلام كانوا يتواصلون مع بعضهم البعض بطرق مختلفة، بحسب الظروف والبيئة التي يعيشون فيها، وكانوا يتأثرون بعضهم ببعض وبالطبيعة المحيطة بهم عن قصد أو عن غير قصد، ونتيجة لذلك، فإن الظروف التي تحكم البيئة المعيشية قد أدت إلى تأثيرها وخلق تشابهات لفظية ودلالية. ومن بين هذه الأبيات، يعد وصف الجمل من أكثرها إثارة للإعجاب، حيث يذكره الشاعر كمنقذ في الأوقات الصعبة ويستخدمه لتخفيف حزنه وألمه. وأظهرت الدراسات أيضًا أن الاصل التأثير والتأثر تظهر بوضوح ليس في وصف الجمل فحسب، بل وفي موضوعات أخرى أيضًا. إن قصة الثيران البرية والكلاب والصيادين، والتي لها مكانة خاصة في الشعر الجاهلي، رويت بشكل جيد من قبل شعراء مثل لبيد، ونابغة، و ايضاً علقمة، الذين نظروا إلى الموضوع من زوايا مختلفة ومتشابهة تقريبًا.. لا يتحدثون مع بعضهم البعض في هذه المساحة المتأثرة فحسب، بل إن هذا التأثير يظهر في معظم أجزاء قصيدته لأن البيئة التي يعيش فيها تدفعه دون وعي في الاتجاه الذي يتحرك فيه الآخرون في تلك البيئة أيضًا.

الكلمات المفتاحية: الشعر الجاهلي، كتاب المجانية الحديثة، عناصر التأثير والتأثر، العصر الجاهلي.

Abstract:-

The poetry of the pre-Islamic period is a colorful picture of the life of the Arabs of the pre-Islamic period, in which it depicts the aspects of their lives. That is why pre-Islamic poetry is called the Arab Diwan because it is a complete mirror of primitive life. Similarities and semantic affinities in the poetry of this period are very frequent, so that the pre-Islamic poet sometimes directly adapted a verse or verses from another poet or spoke on similar themes and topics. In this article, the author, relying on the first volume of the Majani al-Hadith, which is considered one of the most important sources of pre-Islamic poetry, has investigated it and has used a descriptive-analytical method based on the components of thatir and tahsin in the poems of the poets of this period. The author also seeks to show the frequency of verbal and semantic similarities in the poetry of this period. After the study, it became clear that the pre-Islamic poets, considering the conditions and environment in which they lived, communicated with each other in various ways and were intentionally or unintentionally influenced by each other and the nature around them, and as a result, the conditions governing their living environment caused them to be influenced and create verbal and semantic similarities. Among them, the description of the camel has the most type of influence, which the poet mentioned as a savior in times of difficulty and used to remove his sadness and grief. The studies also showed that not only the description of the camel but also other topics show the category of influence and impact. The story of wild bulls, dogs and hunters, which has a special effect in pre-Islamic poetry, was well addressed by poets such as Labid, Najgha, and even Alqamah, and they looked at this issue from different and almost similar angles. Not only do the affected people speak to each other in this space, but this influence is seen in most of the elements of his poem because the environment in which he lives unconsciously pushes him in the direction that others in that environment are also moving in.

Key words: Pre-Islamic poetry, Free Hadith book, Components of influence and impact, Pre-Islamic era.

١ـ المقدمة:ـ

إن الشعر هو ديوان العرب: وفي هذا يقول ابن عباس: "الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا شيء من القرآن ـ الذي أنزله الله بلسان العرب ـ فراجعوا ديوانه (أي الشعر)".... أو إذا سألتني عن كلمات القرآن فابحث عنها في الشعر، وهو شعر الشاعر العربي (السيوطي، التقن في علوم القرآن، ٣٨٢/١). شاعر يجسد كل أفكار العرب وعقلانياتهم وحكمهم وثقافتهم ومعارفهم، ويعكس أن الشعراء بسبب مكانتهم الثقافية الخاصة ومسؤوليتهم العرقية اضطروا إلى جمع كل المعلومات الممكنة والضرورية للاستفادة منها. في شعرهم عند الضرورة (زرگري نژاد: ٢٠٤، ١٣٨٤). لذلك، كان للشعر الجاهلي مكانة خاصة في الأدب العربي. وقد بدأ علماء اللغة في جمع الشعر لأن الشعر كان أقدم كنز من كنوز المفردات العربية، وكان يعتبر أيضًا أفضل مصدر للتعرف على الكلمات المهجورة والغريبة. بالإضافة إلى ذلك، كان الشعر وكانوا يستعملونها لمعرفة أحوال العرب، فكانت أخبارهم وآثارهم موسوعة مهمة، وكانت كلماتها كلمات عرقية لم تسقط لغتها بعد في الفساد. (فاخوري:٣٦، ١٣٨٩). وكان الشاعر في الجاهلية من أركان القبيلة، وكان رئيسها وراكبها وخطيبها وحكيمها، وكان يؤيدها بلغته. (رضايي:٢٤، ١٣٩٣) كان سوق الشعر مزدهر بين العرب في عصر الجاهلي، وكان سوق الشعر والشاعر رائج للغاية. وكانوا يلقون الشعر في حفلات المتعة، وفي ساحات المعارك، وعند تأليف المراثي، أو التحريض على الانتقام، أو لتشجيع الناس على الانتقام. أظهروا فضيلتهم وتفوقهم، فدفعوا الثمن(جعفريان:٢١٢، ١٣٨٢). ولم يكن سوق عكاظ مكاناً للتجارة والتبادل التجاري فحسب، بل كان أيضاً مكاناً للخطب والشعر، ومن المعروف أن العبقري الزبياني دُعي إلى هناك قاضياً وناقداً، وضربت خيمة من الجلد لقتله. وكان ينافس الشعراء، ويذكر التاريخ أنه إذا ظهر شاعر في إحدى القبائل العربية كان أهل القبيلة يرقصون ويضربون الأرض بأقدامهم ويحتفلون بظهور شاعرهم لأنه كان يدافع عن مصالحهم. ضد أعدائهم، وسخروا من أعدائهم بلسانٍ أحد من السيف، وأثنوا على فضائل وفضائل قبيلته. ولعل الشاعر في الجاهلية كان متفوقاً على الواعظ لأنهم كانوا يعتقدون أن الشياطين والعفاريت ترافقه. رافقه وألهمه بالخير والشر. ويقال أيضاً: إن رسول الله ﷺ كان يسمع خطبة قس بن

ساعدة واعظ العرب في سوق عكاظ (الضيف:٨٦، ١١١٩). ذهب الجاحظ إلى أنَّ العرب في الجاهلية يعلمون عيوب البلاغة والفصاحة (الجاحظ: ١٩٠٨ ج١٤٤، ١). لذلك فإن قدرة الشاعر الجاهلي وفنونه لا تخفى على أحد، فهو يبدع في قصيدته أجزاء ومكونات متعددة، ويصف نظمه أحياناً، وينظر أغلبهم إلى هذا المنظور على نحو مماثل، فهو يتخذ ناقته ورفيقه. في أوقات الشدة، يعرف أنه في الواقع منقذه، ينقذه من أحزان ومصاعب عصره. ليس فقط أنهم يتحدثون بشكل مشابه في هذا السياق، ولكن هذه التشابهات تظهر في معظم أجزاء قصيدته لأن البيئة التي يعيش فيها هي أنه يعيش بطريقة تدفعه دون وعي إلى الاتجاه الذي يتحرك فيه الآخرون. الأشياء من حوله هي نفسها. في بعض الأحيان يقارن شخصيته بالنعامة لأنه حيوان يعيش في الصحارى وطبيعته، فهو يتعامل معه أو يشبهه بالثور البري لأنه يجوب الصحارى كل يوم ويصطاد، فيكون هذا الحيوان مألوفاً وملموساً بالنسبة له. كان الشاعر البدائي ينظر إلى محيطه ويمتزج به ويصفه، وكان وصفه يشمل بيئته، الأرض والسماء، وما رآه في الصحراء من حيوانات ونباتات وجمادات، وكذلك ما رآه من مخلوقات. كمظاهر للحياة البدائية، مثل الآثار و... كانت مرئية(فاخوري:٤١، ١٣٨٩). وعلى أيّ حال فإن الشعر الجاهلي كان له صعوده وهبوطه، ولقد اعتبر علماء مثل الدكتور طه حسين، متأثرين بآراء الناقد الفرنسي ديكارت، أن الشك وسيلة إلى اليقين، ونظروا إليه بعين الشك والريبة.، معتبرا أنها تخضع لسلسلة من العوامل التي أصبحت صحتها موضع شك. وبغض النظر عن هذه الشائعات، فإن الشاعر يتأثر أحياناً ليس بالمعنى فقط، بل بالألفاظ أيضاً، وهذا واضح في اقتباساته، وهذا يدل على تأثره الفكري والذوقي. كما أن عوامل أخرى تسبب تشابهاً في قصائدهما وأفكارهما. قصيدة تعمل بشكل متواصل. وتتلخص عناصر التأثير والتأثر في خطاب الدكتور شوقي ضيف فيما يلي: إن الشاعر الجاهلي يقتصر على كثير من الموضوعات والمعاني التي تناولها غيره من قبله.

يقول امرواقيس:

عوَجا على الطُّلَلِ المُحيلِ لعلنا ... نبكي الديارَ كما يبكي ابنُ حذامِ

أو قول زهير:

ما أرانا نقولُ الا معاراً ... أو مُعاراً مِن لفظنا مكروراً

وأيضاً يقول عنترة:

هَـــل غـــادَرَ الشـــعراءُ مِـــن مُتَـــرَدَّمِ ام هـــل عرفـــتَ الـــدارَ بعـــدَ تـــوهُّمِ

ما في كلام امرو القيس؛ يريد أن يقول: إنه يبكي على أطلال، كما بكى ابن حذام (شاعر قبل أمرو القيس)، وما يقوله زهير: إن كلامهما تكرار لما عالجه الشعراء قبله، وعنترة أيضاً يسير على نهجه. وهذا يدل على أن الشعراء القدماء كانوا محدودين في التقنية والأسلوب، واستخدموا الكثير من الكلمات والموضوعات، واستفادوا من بعضهم البعض.

١-١. خلفية البحث

لا شك أن دراسات كثيرة أجريت حول موضوع الشعر الجاهلي، وتناولته من زوايا مختلفة، ولضيق المساحة لن نذكرها كلها، بل سنتناول بعض الأمثلة.

١. د. رضا أفخمي عقدا: التحليل الأسطوري لصورة الثور البري في الشعر الجاهلي، مجلة اللغة والأدب العربي، ١٣٩٨ش. في هذه المقالة يتناول المؤلف، معتمداً على الشعر الجاهلي، الدور الأسطوري للثور البري في شعر هذه المدة.
٢. د. خداد بحري ود. حسين مهتدي: تأثير الحيوانات الأليفة على الشعر ما قبل التاريخ من خلال كتاب المفضلة، مجلة الأدب العربي ١٣٩٧ش. وكما يوحي العنوان، فإن هذه المقالة تبحث في دور الحيوانات الأليفة في شعر هذه العصور، وكيف تأثر الشعر ما قبل التاريخ ببعض الحيوانات.
٣. د. رضا أفخمي عقدا: نظرة رمزية إلى حضور الإبل في شعر العصر الجاهلي، مجلة اللغة والأدب العربي ١٣٩٠ش. يتناول هذا المقال على وجه التحديد دور الإبل وحضورها في شعر هذه الحقبة.
٤. د. سيد رضا نجفي: مكانة الشعر الجاهلي في فهم الألفاظ القرآنية، جامعة ياسوج، المؤتمر الوطني للدراسات اللفظية في العلوم الإسلامية ١٣٩٥ش.

كما يمكننا أن نذكر عدة مقالات وكتب كتبت بالعربية والفارسية حول هذا الموضوع، ولكن ذكرها جميعاً خارج نطاق هذا النقاش، لذلك لابد من مقال وموضوع يتناول بشكل مباشر مكونات التأثير والتأثير ويناقشها. لم يتم العثور على العنصر المطلوب

ليتطابق بشكل كامل. لذلك، يبدو أن المقالة التالية تتناول هذه المشكلة على وجه التحديد، وبالتالي تعتبر مبتكرة.

٢- البحث والتحليل

٢-١. الناقة في الشعر الجاهلي هي حلقة الوصل للتأثير والتأثر

الجمل هو نفس الظاهرة التي يسميها العرب سفينة الصحراء، والقرآن يدعونا للتأمل في خلقه. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (الغاشيه١٧). وفي هذه الآية ذكر أهمية الجمل إلى جانب مظاهر الخلق العظيمة كالسموات والأرض، ودعوة المكذبين إلى التأمل في كيفية خلق الجمل(آيت، ١٣٩٥:٢٥). ولذلك فإن الجمل هو الحيوان الوحيد الذي حث القرآن الكريم البشر على دراسته والتفكر في خلقه بلهجة توبيخ (رضايي آدريايي، ابراهيم١٣٩٤:٦٩)، كان البدوي منغمساً في بيئته الصحراوية، فقد ملأت الصحراء قلبه ونفسه وكل كيانه، واحتلت أفكاره وعواطفه وخياله (فاخوري:٣٨، ١٣٨١). ويشير الشيخ السعدي إلى مكانة الجمل في الشعر العربي في بيت يقول فيه:

شتر در شعر عرب در حالتست وطرب گر ذوق نيست تو را كژ طبع جانوري

(سعدي:٥٥، ١٣٨٥)

«الجمل في الشعر العربي في حالة فرح، فإذا لم يكن لديك فرح فإن طبيعتك أسوأ من الحيوان».

لذلك فليس من الغريب أن يذكرها الشاعر الجاهلي في شعره، بل يصفها بأحسن الصفات، ولذلك فإن من أهم الأدوات التي تخلق أثراً وانطباعاً في البيئة البدائية هو الجمل.

٢-١-١. المرفقان الأفتلان (وصف الإبل)

ومن خصائص الإبل القوية القوية الرشيقة عند الشاعر الجاهلي أنها قوية المرفقين والذراعين بعيدة عن الجانبين، ولذلك شبه الشاعر الإبل القوية القوية بالقوية. ذراعا بعيره إلى رجل قوي البنية يحمل دلاء مملوءة بالماء بكلتا يديه لأنه في هذه الحالة تكون ذراعاه بعيدتين عن جنبيه مما يدل على قوته وقدرته الجسدية.

لَهـــا مِرفقـــان اَفـــتلان كأنَّمـــا تَمُـــرُّ بِسَـــلمَي دالجٍ مُتَشَـــدِّدِ

(المجاني٥٨)

أو هذا البيت الاعشي الذي يقول فيها الشاعر "أعبر الصحارى بلا ماء ولا عشب بجمل قوي شديد مرفقيه ملتوية وقوية".

جَاوَزتُهـــا بِطَلـــيحٍ جَســـرَهٍ سُـــرُحٍ يفِ مِرفَقَيهـــا إذا استَعرَضـــتَها فَتَـــلُ

(المجاني٢٢٩)

ويصف نابغة الذبياني أيضًا جملًا له مرافق قوية:

وَالأُدمَ قَـــد خُيسَـــت فُـــتلاً مَرافِقُهـــا مَشـــدُودَةً بِرِحـــالِ الحـــيرِهِ الجُـــدُدِ

(المجاني٢١٦)

فالجمل إذن قوي لا يكل، وله حوافر مرنة تحمل الشاعر في أوقات الحزن والأسى أو الشدة، ويجتاز بها السهول القاحلة والصحاري. ويقول المثربان عبدي أيضا في وصفه:

قَطَعَـــتُ بِفَـــتلاء اليـــدينِ ذَريعَـــهٍ يغـــولُ الـــبلادَ سَـــومُها وبريـــدُها

(المجاني٢٠٣)

٢-١-٢.المرقال (نوع عدو الناقة)

عندما يصف الشاعر الجاهلي ناقته فإنه يصف كل تفاصيلها وخصائصها بدقة متناهية، ونادراً ما يسمي ناقته باسم "جمل" أو "ناقة" بل يسميها بألقاب وأسماء وصفية مثل: جَسرة، العيس، طليح، ناجية، صادقة و...». ومن صفات الجمل الجيد المرغوب فيه عند الشاعر الجاهلي أنه سريع في سلوكه، ولذلك فإن المرقال أو العرقال نوع من الإبل التي تجري، وقد ذكر الطرفة والنابغة الذبياني هذا النوع من الإبل. سلوك الجمل في شعرهم. ويصف طرفة جمله المدربة التي تظهر هذا السلوك بناء على إرادته وطلبه، فيقول:

وإن شِـئتُ لم تُرقِـل وإن شِـئتُ إرقَلَـت مخافـــهَ مَلـــوي مـــن القِـــدّ مُحصَـــدِ

عندما كان يموت من الحزن، بدأ رحلته أيضًا مع الجمل وتخلص من حزنه.

وَإنِّـــي لَأُمضِـــي الهَـــمَّ عنـــدَ أحتضـــاره بعَوجـــاء مرقـــالٍ تـــروحُ وتغتـــدي

(المجاني٥٨)

ويشبه النابغة الذبياني أيضاً نزول الفرسان بالرمي بنفس حالة ركوع الجمل، وهي أفضل أنواع مشية الجمل، وهي في هذه الحركة سريعة السير.

إذا اســـتُنزِلوا عنـــهُنَّ للطَّعـــنِ أرقَلـــوا إلى المـــوتِ إرقـــال الجمـــالِ المَصـــاعبِ

(المجاني٢٠٨)

٢-٢. قصة الثورة الوحشي

تدور قصة الثور البري عندما يصف شاعر جاهل جمله، وبعد أن يشبه جمله بالثور البري، يمضي في وصف الثور، بطريقة تجعل القارئ يتخيل أن الشاعر قد توصل في النهاية إلى نتيجة مفادها أن الثور البري هو الثور الحقيقي. الهدف من هذه القصيدة هو وصف الثور، فهو ثور بري، والارتباط بين هذه القصة والجمل الذي ينقذ الشاعر من الشدائد والأحزان وثيق، لأن قصد الشاعر في البداية هو وصف الجمل من حيث قوته وحيويته، والرشاقة التي يراها في الثور الوحشي، ولكن عندما تصل قصة الثور الوحشي وتتحدث عنه بالتفصيل. ورغم أن الثور البري كان له دور أسطوري عند العرب في فترة ما قبل الإسلام، إلا أنه كان مشهوراً بينهم، فعندما حل الجفاف كانوا يستخدمون الثور للدعاء من أجل المطر، وحمل الحطب على ظهر الثور، وإشعال النار. نار تشبه لهيبها بالبرق. لمحاكاة المطر بالبرق(النوتي؛ ٢٠٠٤، ١٥). وكان من عادة الشعراء إذا كانت القصيدة رثاءً أو موعظة أن تقتل الكلاب الثور الوحشي، وإذا كانت القصيدة مدحاً يقول الشاعر: يبدو أن جملي ثور وحشي. الذي يتميز بأنه يقتل أمام الكلاب. (افخمي عقدا:٩، ١٣٨٨). إن هذا الخيال الذي تصوره الشعراء الجهلة حول قصة الثور البري هو أن الثور البري يعيش وحيداً في الصحراء البعيدة في الشتاء القارس ورذاذ ليالي الشتاء، وفي الوقت نفسه يقظاً وقوياً وذو خبرة. يروي القصة المأساوية للثور البري الوحيد بالتفصيل.

قصيدة لبيد بن ربيعة الموقوفة بعد تقديم الغزل وهي ذكر الأطلال والديمان وألم الحب والفراق عن الحبيب الذي قطع أوتار الصداقة وابتعد عنه و لقد أصبح الجمل قريباً من أعداء الشاعر، وهو الجمل الوحيد الذي يستطيع أن ينقذه من هذا الحب، فهو ينقذه من الفشل والحزن البائس، وهنا يصف الجمل "المنقذ" ويشبهه بالبقرة البرية، زعيمة القطيع.، التي فقدت عجلها بسبب الحيوانات المفترسة. ويتحدث بالتفصيل عن قصة قضاء الليل

وحيداً في الصحراء تحت المطر البارد. وفي الصباح، وبينما يبدأ في التحرك ببطء، فجأة تغلب عليه صوت مخيف، صوت الصيادين وهم يطاردونه بكلابهم.

أ فَتِلـــــك أم وَحشِـــــيهُ مَســـــبوعةٌ ... خَـــذَلَت وهاديـــهُ الصِّـــوارِ قِوامُهـــا

....

باتَـــت وأســـبَلَ واكـــفٌ مِـــن ديمَـــهِ ... يـــروي الخَمائـــلَ دائمـــاً تَســـجامُها

فَتَوَجَّسَـــــت رِزَّ الأنِـــــيسِ فراعَهـــــا ... عَـــن ظَهـــرِ غيـــبٍ والأنـــيسُ ســـقامُها

(المجاني، ١٠٧، ١٠٨)

في داليته الشهيرة التي اعتبرها بعض المعلقين قصيدة معلقة، يبدأ النابغة الذبياني قصيدته المعلقة، على عادة الشعراء الجاهلين، بمقدمة غنائية، يتأمل فيها الانحدار والتراجع، ويطرح أسئلة حول الأعمال. لا يجد الشاعر إجابات منها، لذلك يجد نفسه وحيداً عند غروب الشمس، عندما يتلاشى الضوء ويبدأ الظلام. لقد عذبه ألم الوحدة وتجواله وغربته. الشخص الوحيد الذي يتعاطف معه هو ويصحبه في الشدائد ناقته، ويشبهها بالثور الوحشي (مستأنس واحد)، أي أنه وجد وحيداً في الصحارى. ومثله كمثل لبيد، يصف بقرة تعاني من أمطار الليل المظلمة والرياح الشمالية الباردة. وعندما تشتد الأمطار، تلجأ البقرة إلى شجرة وتبني لها وكرًا هناك لحماية نفسها من المطر. استمر الريح الباردة حتى أشرقت الشمس من خلف الجبال وأرعبه صوت كلاب الصيد.

كـــأنَّ رَحلِـــي وقَـــد زالَ النَّهـــارُ بِنـــا ... يـــومَ الجَليـــلِ علـــي مُســـتَأنسٍ وَحَـــدِ

سَـــرَت عَلَيـــه مِـــن الجَـــوزاء ســـارِيةٌ ... تُزجـــي الشَّـــمألُ عَليـــه جامِـــدَ البَـــرَدِ

فَارتَـــاعَ مِـــن صـــوتِ كلَّـــابٍ فبـــاتَ لَـــهُ ... طَـــوعَ الشَّـــوامِتِ مِـــن خَـــوفٍ ومِـــن صَـــرَدِ

(المجاني٢١٤)

يواصل لبيد سرد قصة الثور البري، والتي تبدأ عند شروق الشمس بمعركة شرسة بين الثور البري وكلاب الصيادين، بعد أن نجا من الليل المظلم والمطر ورعب الوحدة. إنه سريع الحركة وخفيف الحركة. إنه يفلت من متناول الصيادين، وهم يرسلون في النهاية كلابًا مدربة ومميزة خلفه، لكن الثور هو المنتصر في ساحة المعركة هذه، حيث يحول الجزار والخنزيرة إلى غبار ودم بقرون قوسه. يقول الشاعر:

حـــتى إذا يـــئِسَ الرُّمـــاةُ وأرسَـــلوا غُصـــفاً دواجـــنَ قـــافِلاً أعصـــامُها
فَلَحِقـــنَ واعتَكـــرَت لهـــا مَدَريـــةٌ كالسَّـــمهريةِ حَـــدُّها وتَمامُهـــا
فَتَقَصَّـــدَت مِنـــها كسَـــابِ فَضُـــرِّجَت بـــدمٍ وغـــودر في المَكـــرِّ سُـــخامُها

(المجاني١٠٩)

النابغة الذبياني مثل لبيد، في نهاية قصة الثور البري الذي يجلب النور إلى الليل في ظلام الأمطار والبرد القارس. بعد شروق الشمس، تدور معركة شرسة بين الثور البري والصيادين. الكلب (ضمران) بعد فشل الصيادين في الإمساك به، تصاب الأبقار بالإحباط وترسل الكلاب خلفه، لكن البقرة أيضًا تنتصر في هذه القصة العبقرية، فتطرده وتثقب ظهره بقرونها الحادة مثل الأسياخ.

فَبَـــثَّهُنَ عَلَيـــهِ وأســـتَمرَّ بـــه صُـــمعُ الكعُـــوب بَريئـــاتٌ مِـــن الحَـــرَدِ
وكـــانَ صُـــمرانُ مِنـــهُ حيـــثُ يوزِعُـــهُ طَعـــنَ المُعـــارك عنـــدَ المُحجَـــرِ النَّجُـــدِ
شَـــك الفَريصَـــةَ بِالمِـــدري فَأنفَـــذَها شَـــك المُبَيطِـــرِ إذ يشـــفِي مِـــنَ العَضَـــدِ
كأنَّـــهُ خارجـــاً مِـــن جَنـــبِ صَـــفحَتِهِ سَـــفُّودُ شَـــربٍ نَسُـــوهُ عنـــدَ مُفتَـــأدِ

(المجاني٢١٤)

يصف علقمة الفحل، على غرار الشعراء الجاهلين، ناقته ويشبهها بالثور الوحشي الذي يلجأ بعد يوم طويل من الرعي إلى شجرة جاك فروت عندما يصبح المطر غزيرا ويصنع لنفسه وكرًا. هناك لحمايته من شدائد المطر والبرد القارس، لكن الصيادين بكلابهم يطاردونه.

وتُصـــبِحُ عـــن غَـــبِّ السُّـــري وكأنَّهـــا مُوَلَّعَـــةٌ تَخشـــي القنـــيضَ، شـــبوبُ
تَعَفَّـــقَ بـــالأرطي لهـــا وأرادهـــا رجـــالٌ فَبَـــذَّت نَـــبلَهُم وكليـــبُ

(المجاني١٧٢)

لذلك، في قصيدة يتم فيها قتل ثور وحشي، عادة ما تكون النهاية عبارة عن رثاء. ورغم أن الثور يتجنب الحرب، فإن العدو يرغمه على القتال، فيكون على وشك تحقيق النصر عندما يهاجمه عدوه الحقيقي، الرجل الصياد، مع مرتزقته، بشجاعة في ساحة المعركة ويقتله. (افخمي عقدا:١٢، ١٣٨٨).

٢-٣. التشبيه هي الآلة التاثير والتأثر

من أهم مميزات الشعر الجاهلي التشبيه، فالشاعر يستعين بهذا الفن الأدبي في جمال شعره، ورغم أن التشبيه في الشعر الجاهلي كان في مستوى بدائي، إلا أن الشاعر كان يختار أحياناً التشبيه، تشبيه يوازي التشبيه والسمة الملموسة، ولكن لعل هناك فناً أقل أعطاه الشاعر الجاهلي أهمية كبيرة للتمثيل، وهو أحد الركائز الأساسية للشعر الجاهلي. أول ما يميز موضوعات الشعر الجاهلي هو بساطته ووضوحه وبساطته، كما أن معاني الشعر سواء كانت تعبيرات عن المشاعر أو عن الطبيعة المحيطة ليست بعيدة أو مبالغ فيها(براتي:٣٠٤، ١٤٠٠). الشاعر الجاهلي لا يعرف المبالغة والتهويل ولا يتجاوز حدود الاعتدال(طاهري:١١١، ١٣٩٥).

إن أغلب التشبيهات الجاهلية مأخوذة من سياق البيئة والحياة اليومية وتقاليد المجتمع البدائي، ويمكن القول إن الطبيعة المادية للمجتمع البدائي والعيش معها هي أدوات هذه التشبيهات، وهناك العديد من التشبيهات الجاهلية التي وردت في القرآن الكريم، ومنها: مواضيع وأفكار مشتركة بين الشعراء الجاهلين، بحيث يظهر فيها الإبداع والابتكار، ولا يمكن أن يكون ذلك، وأغلب هذه المعاني والأفكار مكررة، وأغلب هذه التشبيهات من النوع البصري واللمسي والملموس. (جاودان:١، ١٣٩٢). يشبه طرفة بن العبد الحوداج الرّحال حبيبته بالسفن التي بناها عدولي أو ابن يمان، وهي سفينة يشق صدرها المياه كما يشق المقامر قطعة من الأرض إلى نصفين.

كأنَّ حُدوجَ المالكيةِ غُدوَةً ... خَلايا سَفينٍ بالنَّواصب مِن ددِ

عَدوليةٍ أو مِن سفينِ ابن يامنٍ ... يجورُ بها المَلّاحُ طوراً و يهتدي

يشقُّ حَبابَ الماء حَيزومُها بها ... كما قسمَ التربَ المُفائلُ باليدِ

(المجاني٥٧)

ويشبه مثقف العبدي أيضًا حمل البعير وسرجه بالسفينة الكبيرة التي تسبح على الأمواج الطويلة الواسعة وتشق البحر بصدرها.

كأنَّ الكورَ والأنساعَ منها ... علي قَرواءَ ماهرَةٍ دَهينِ

يشُـــقُّ المـــاءَ جوجوءُهـــا وتَعلـــو غـــواربَ كـــلِّ ذي حَـــدَبٍ بَطـــينِ

(المجاني١٩٩)

يصف مشية حبيبته ويقارن طريقة وكمية سلوكها بسحابة بلا مطر ليست بطيئة ولا سريعة، بل لديها سلوك معتدل عندما تمر أمام منزل الجار وتتحرك مثل السحابة.

كـــأنَّ مَشـــيتَها مِـــن بيـــتِ جارتِهـــا مَـــرُّ الســـحابِ لا ريـــثٌ ولا عَجَـــل

(المجاني٢٢٧)

ويشبه طريفة بن العبد أيضاً حركة النساء ومشيهن بحركة السحب الصيفية التي تجعل نبات العسليج خصيباً.

كبَنـــــاتِ المَخـــــرِ يمـــــأدنَ إذا أنبَـــتَ الصَّـــيفُ عَسَـــاليجَ الخَضِـــر

(المجاني٦٩)

يشبه لبيد في أحد الأبيات ناقته بسحابة حمراء لا مطر فيها، تحركها الرياح الجنوبية، لأن هذا النوع من السحاب يتحرك عادة دون عجلة (لا ريث ولا سريعة).

فهـــا هِبـــابٌ في الزِّمـــامِ كأنَّهـــا صَـــهباء خَـــفّ مـــع الجنـــوبِ جَهامُهـــا

(المجاني١٠٦)

بالعناية إلى النظرة الفلسفية لطرفة بن العبد إلى الموت؛ وقال إن قبر من يكدس المال لا يختلف عن قبر من ينفق ماله على أهوائه ورغباته، ولذلك لم يرحم الموت أحداً، ولم يسلم منه خيرة الناس. من بين يديه، وكذا من بخل بأمواله، فلم ينج من موته، فشبه الشاعر الموت بحبل حول عنق حيوان محدود المدة، لأن صاحب الحيوان كلما أراد أن يتخلص منه، يمنعه من الرعي، يشد الحبل فيضطر إلى فعل ما يشاء، فيستسلم صاحبه، فما دام الإنسان يتمتع بالحياة فإن حبل الموت مجاني.

لَعَمـــرُك إنَّ المـــوتَ مـــا أخطـــأ الفـــتى لَكـــالطِوَلِ المُرخَـــي وثِنيـــاهُ باليـــدِ

(المجاني٦٣)

ولقد استخدم لبيد بن ربيعة نفس الفكرة في الحديث عن الموت، فما دام حبل الموت مرتخياً (طويلاً) ولم يقرر صاحبه بعد أن يشدّه، فإن له فرصة في الحياة، ولو بعد حين.

يغلب عليه الكبر فيضطر إلى الموت، فكن عصا.

أَ لـــيسَ وَرائـــي إن تَرَاخَـــت مَنِـــيتي لُـــزومُ العصـــا تُحـــني عليهـــا الأصـــابِعُ

(المجاني١١٥)

أو تشبيه الأطلال و الدمن بالنقوش الكتاب في قول زهير:

لِمَـــن طَلَـــلٌ كـــالوحي عـــافٍ مَنازِلُـــهُ عَفَـــا الـــرَّسُّ منـــه فالرَّشـــيسُ فعاقِلُـــه

(المجاني٩٠)

وشبه لبيد بن ربيعة أيضاً الأعمال البالية في الأرض الحبيبة بالنقوش الحجرية، أو أنَّ الرياح يصقلها ويجددها، كما تجدد الأقلام الكتابات الضائعة.

فمـــدافعُ الرَّيـــان عُـــرِّي رَسمُهـــا خَلَقـــاً كمـــا ضَـــمِنَ الـــوُحِي سِـــلامُها

وجـــلا الســـيولُ عـــن الطُّلُـــولِ كأنَّهـــا زُبُـــرٌ تُجِـــدُّ مُتونُهـــا أقلامهـــا

(المجاني١٠٣، ١٠٤)

لقد أصبح الشاعر على دراية بالطبيعة من حوله، ولا توجد موسيقى أكثر إلهامًا من الموسيقى التي تعزفها الطبيعة له. فالأوراق الجافة وعشب الخريف، أو البذور الموجودة في بعض النباتات، تجعل الريح تتحرك وهي تجف. وهنا يذكّر صوت زينة الحبيب الشاعر بموسيقى الطبيعة. وهذا واضح في قول الأعشى، حيث شبه صوت أساور هريرة بصوت العشب اليابس الذي تحركه الريح.

تَســمَعُ للحَلـــي وَسواســـاً إذا أنصَـــرَفَت كمـــا إســـتعانَ بِـــريحٍ عِشـــرِقٌ زَجِـــلُ

(المجاني٢٢٧)

وقد استفاد علقمة الفحل أيضاً من هذا الإلهام من الطبيعة، فشبه حفيف الدروع الحديدية وصوتها بالعشب الجاف الذي تحركه ريح الجنوب.

تَخَشـــخَشُ أَبـــدانُ الحَديـــدِ عَلَـــيهم كمـــا خَشخَشَـــت يـــبسَ الحَصـــادِ جنُـــوبُ

(المجاني١٧٤)

وبدراسة قصائد الشعراء الجاهلين نجد أحياناً أبياتاً يكون تكييفها أكثر موضوعية، وهذا يدل على اصل التأثير والتأثر، كما يدل على تفاعل وترابط البيئة التي عاش فيها الشاعر لا

محالة، ولعل هذا هو ما دفع أشخاصاً مثل الدكتور طه حسين إلى طرح وجهة نظر سرقة الشعر الجاهلي، ولكن الحقيقة أن أغلب الشعراء الجاهلين كانوا يعرضون قصائدهم في سوق عكاظ، مما أدى إلى زيادة التواصل بين الشعراء الجاهلين. وقد نشأت بين الشعراء تشابهات لغوية، فمن بين لهجات القبائل العربية كانت لهجة قريش أبلغ لهجة، ولذلك حاول الشعراء أن ينظموا قصائدهم على لهجة قريش ويقدموها في سوق عكاظ، وعلى كل حال فإن هذه التشابهات اللفظية تظهر هذه الدلالات، سواء أكانت مقصودة أم غير مقصودة، في كثير من أبيات الشعراء. يقول امرو القيس في مقدمة غزله المعلقته الذي يعبر فيها عن حزن الشاعر وألمه على فراق حبيبته:

وقوفاً بها صحبي علي مَطيهم يقولون: لا تَهلَك أَسى وتَجَمَّلِ

(المجاني٣١)

وقد قام طرفة بن العبد بتعديل بيت أمرو القيس المذكور أعلاه تماماً مع تغيير بسيط في حرف الراء، مما يدل على مدى الاتصال بين شعراء هذه الفترة، واستفادتهم من قصائد بعضهم البعض.

وقوفاً بها صحبي علي مَطيهم يقولون: لا تَهلَك أَسى وتَجَلَّد

(المجاني٥٧)

ويقول امرو القيس في قصيدته الشهيرة (لدي أم جندب):

تَبَصَّرَ خليلي، هَل ترى مِن ظعائنٍ سِوالك نَقباً بينَ حَزمي شَعَبعَبِ؟

عَلَونَ بِأَنطاكيهِ فوقَ عِقمَهٍ كجِرمَهِ نَخلٍ أو كجَنَّه يثرِبِ

(المجاني٣٩)

والبيتان الأوليان من بيت زهير بن أبي سلمي يشبهان في أغلب كلماتهما ما نظمه امرو القيس في قصيدته لدي أم جندب، فيقول في مقدمة غزليته المعلقة:

تَبَصَّر خليلي هَل تَرَي مِن ظعائنٍ تَحَمَّلنَ بالعَلياءِمن فوقِ جُرثُمِ

عَلَونَ بِأَنماطٍ عِتاقٍ وكلَّةٍ ورادٍ حَواشيها مشاكهه الدمِ

(المجاني ٨٣)

الاتساق في وصف الفرس:

كان الإنسان الجاهلي على دراية بالطبيعة ومظاهرها الخارجية في أغلب الأحيان، ومن الطبيعي أن يعكس الشاعر الجاهلي أيضًا هذه المظاهر الطبيعية في شعره. ومن بين المواضيع المتنوعة التي ألهمت الشاعر الجاهلي، تم وصف الخيول والإبل بطرق مختلفة بسبب دورها المهم في الحرب والتجوال في الصحراء. (علي پور:٣، ١٣٨٥) وفي العصر الجاهلي كان أهم أسلوب استخدمه الشعراء للتعبير عن مقاصدهم هو فن الوصف، وفي هذا الصدد استطاع امرو القيس باعتباره أبا الشعر العربي أن يحقق عبقرية في هذه التقنية الشعرية مع فنه الشعري في العصر الجاهلي (شكيب:٢، ١٣٩٠). الحصان حيوان وصفه امرو القيس، بل وصفه كل الشعراء الجاهلين، لأنهم كانوا يسافرون بهذا الحيوان النبيل، وفي الأوقات الصعبة كانوا يركبون على ظهره، ويذهبون إلى أماكن بعيدة... من أجل المتعة استخدموها للصيد والترفيه والمسابقات وما إلى ذلك، استخدموا نفس الحيوان. لذلك، كان معظم الشعراء يتصرفون بشكل متسق في أوصافهم.

يصف امرو القيس في قصيدته فرسه بالصياد، كأنه يصطاد الفريسة، ماهر في الرماية، وبجسمه القوي القوي يستطيع أن يسيطر حتى على قائد الصيد. ثم يصف الشاعر أعضاء الحصان وسلوكه، فيقارنه بالغزال والنعامة، وسلوكه بشبل الثعلب والذئب، كما يصف ذيل الحصان وسرعته وخفة حركته أثناء الصيد.

وَقد أغتدي والطيرُ في وُكنَانِها ... بِمُجَردٍ قَيدِ الأوابد هَيكلِ

لَه أيطَلا ظَبي وساقا نعامةٍ ... وإرخاءُ سِرحانٍ وتَقريبُ تَتفُلِ

ضَليعٍ إذا استَدبَرتَه سدَّ فَرجَهُ ... بِضافٍ فُوَيقَ الارضِ ليسَ بِأعزَلِ

كأنَّ دِماءَ الهاديات بِنَحرِهِ ... عُصارَةِ حِنَّاءٍ بشيبٍ مُرَجَّلِ

فَعادي عداءً بين ثورٍ ونعجةٍ ... دِراكاً ولم ينضَح بِماءٍ فيغسلِ

(المجاني٣٥، ٣٤)

وفي قصيدة أخرى، استخدم أبياته المعلقة لوصف حصانه، مع بعض التغييرات الجزئي في المقطع أو في الصياغة في بعض الأحيان.يقول الشاعر في قصيدته«لدى ام جندب»:

وَقــد أغتــدي والطــيرُ في وُكنَانِهــا ... ومــاءُ النّــدي يجــري علــى كــلّ مِـذنَبِ
بِمُنجَــرِدِ قيــد الاوابــد لاحَــهُ ... طــرادُ الهَــوادي كــلَ شَــأوٍ مُغــرِّبِ
لــه أيطَلَــا ظَــبي وســاقا نعامــةٍ ... وصَــهوهُ عَــير قــائمٍ فــوقَ مَرقَــبِ
ضَــليعٍ إذا اســتَدبَرتَه ســدَّ فَرجَــهُ ... بِضــافٍ فُوَيــقَ الارضِ لــيسَ بِأصــهبِ
كــأنَّ دِماءَالهاديــات بِنَحــرِهِ ... عُصــارَهِ حِنَّــاء بشــيبٍ مُخضَّــبِ

(المجاني، ٤١، ٤٠)

يصف علقمة بن الفحل، أحد منافسي امرو القيس ومعاصريه، جواده في قصيدة "البائية"، التي يبدو أنه نظمها في معارضة لقصيدة امرو القيس "لدي أم جندب"، المتأثرة بشكل مباشر بـ شعر امرو القيس.

يقول علقمة بن الفحل في وصف فرسه:

وَقــد أغتــدي والطــيرُ في وُكنَانِهــا ... ومــاءُ النّــدي يجــري علــى كــلّ مِـذنَبِ
بِمُنجَــرِدِ قيــد الاوابــد لاحَــهُ ... طــرادُ الهَــوادي كــلَ شَــأوٍ مُغــرِّبِ
فَعــادي عــداءً بــين ثــورٍ ونعجــةٍ ... وتــيسٍ شــبوبٍ كالهشــيمه قَرهَــبِ

(المجاني١٨٢، ١٨٤)

يقول امروالقيس في معلقته:

فــأدبرَنَ كــالجِزعِ المفَضَّــلِ بينــهُ ... بِجيــدٍ مُعَــمٍّ في العشــيرهِ مُخــوَلِ
كــأنَّ دِماءَالهاديــات بِنَحــرِهِ ... عُصــارَهِ حِنَّــاء بشــيبٍ مُرَجَّــلِ

وفي قصيدته "يوم الصيد"، كرر أبياتًا من قصيدته المعلقة بالضبط:

فــأدبرَنَ كــالجِزعِ المفَضَّــلِ بينــهُ ... بِجيــدٍ الغلامِــذي القمــيص المطــوَّقِ
كــأنَّ دِماءَالهاديــات بِنَحــرِهِ ... عُصــارَهِ حِنَّــاء بشــيبٍ مُفَــرَّقِ[٢٠]

ويتحدث عنترة الشاعر الملحمي عن شجاعته أثناء المعركة بطريقة تجعل فرسه يبدأ في الكلام ويشكو من شدة الحملة وضربات الرماح على رأسه وصدره ويطلب منه الترحم. وإنهاء هذه الشدة من الحملة.

فـــأزوَرَّ مِـــن وَقـــعِ القَنـــا بِلَبانِـــهِ وشَـــكا إلى بِعَـــبرَهِ وتَحَمحُـــمِ

(المجاني١٦١)

وقد استخدم عامر بن الطفيل ايضا نفس الأسلوب في وصف فرسه في ساحة المعركة.

إذا أزوَرَّ مِـــن وقـــعِ الرِمـــاحِ زَجَرتُـــهُ وقُلـتُ لـهُ: أرجـع مُقـبلاً غـيرَ مِـدبرِ

(المجاني٢٩١)

التشابهات في المعاني:

ويعتبر الشعر الجاهلي نموذجاً واضحاً لحياة العربي الجاهلي من حيث أنه يعكس مشاعره وأفكاره وحقيقة حياته في البيئة التي يعيش فيها. من أهم العناصر المرتبطة بحياته هو الجمل، حيث يلعب هذا الحيوان المستأنس دوراً كبيراً في حياة العربي البدوي، ولهذا السبب فإن صبر الجمل وقدرته على عبور الصحاري الجافة الخالية من الماء والعشب وإنقاذ راكبه من الموت كانا من أهم العوامل التي ساعدته على ذلك. العواصف الشديدة الحارقة، مما أدى إلى تسميتها بـ "الناجيّة"

وناجيـــهٍ بعثـــتُ علـــي ســـبيلٍ كـــأنَّ بيـــاضَ منجـــرهِ سُـــبوبُ

(بحري:٢٣١، ١٣٩٧)

أو هذا بيت العلقمه:

وناجيـــهٍ أفـــني رَكيـــبَ ضُـــلوعِها وحاركهـــا تَهَجَّـــرٌ فَـــدُووبُ

(البستاني:١٧٢، ١/١٩٩٣)

إن المرور عبر الصحراء القاحلة الجافة يقود الشاعر إلى أن يتخيل لنفسه حيوانًا خارقًا وأسطوريًا اجتاز الصحراء بمقاومة وجهد كبيرين، مواجهًا كل المخاطر والمصاعب. يذكر الجمل الذي يشير إليه الشاعر بصاحبه أنه في الواقع، لديه خصائص مثل: رمز الخلاص والنجاح، والبركة والحظ السعيد، والسلام، وما إلى ذلك. (افخمي عقدا:٢٧٥، ١٣٩٠). يذكر الشاعر الجمل في الجاهلية كوسيلة ينسى بها الإنسان فراق الحبيب، وقيمة الجمل وأهميته عند العرب الجاهلين كبيرة إلى درجة أن مثريبان عبدي يذكر أن الإنسان يستطيع أن يتغلب على الألم من الحب بركوبه، فهو يحيل إلى النسيان، وهو ألم لا علاج له في شعر

الشعراء، وخاصة الشعراء الغنائيين، ولا يطفئه أي دواء(بحري:٢٣٢، ١٣٩٧).

المثقب العبدي

فَسَـــلِّ الهَـــمَّ عنـــك بـــذات لَـــوثٍ عُـــــذارَهِ كمِطرَقَـــــهِ القيـــــون

(المجاني١٩٨)

طرفه بن العبد

وَإِنِّـــي لَأُمضِـــي الهَـــمَّ عنـــدَ أحتضـــاره بعَوجـــاء مرقـــالٍ تـــروحُ وتغتـــدي

(المجاني٥٨)

امرو القيس

فَـــدَع ذا وسَـــلِّ الهـــمَّ عنـــك بِجَســـرَهٍ ذَمـــولٍ إذا صـــامَ النـــهارُ وهجـــرا

(المجاني٤٨)

فَعَزَّيـــتُ نَفسِـــي حِـــينَ بـــانوا، بِجَســـرَهٍ أَمـــونٍ كبُنيـــان اليهـــودي خَيفَـــقِ

(المجاني٤٥)

علقمه الفحل

فَـــدَعها؛ وَسَـــلِّ الهَـــمَّ عَنـــك بِجَســـرَهٍ كهَمِّـــك، فيهـــا بـــالرّداف خَبيـــبُ

(المجاني١٧٢)

المتلمّس

جاوَزتُـــــهُ بِـــــأمونٍ ذاتِ مَعجَمَـــــهٍ تَنجـــو بِكلكِلِهـــا والـــرأسُ معكـــوسُ

(المجاني١٩٠)

النابغه الذبياني

فَسَـــلَّيتُ مـــا عِنـــدي بِروحَـــهِ عِـــرمِسٍ تخُـــبُّ بِرَحلـــي تـــارةً وتُناقِـــلُ

(المجاني٢١٠)

الأعشى

قَطَعَـــتُ بِرَســـــامَهِ جَســـــرَهِ عُـــــذافِرَهِ كـــــالفَنيقِ القَطِـــــمِ

(المجاني٢٣٦)

لذلك فإن الناقة في أوقات الشدة وفراق صاحبها هي الرفيقة الوحيدة الذي يحملها عبر الصحاري الجافة والحارة التي يخشاها حتى الجن، وهي مؤتمنة أسرارها وبلسم معاناتها. في وصف الناقة أو الفرس، يحاول الشاعر الجاهلي تقديم أفضل صورة ممكنة لطبيعة الناقة النبيلة. وبينما يعدد كل خصائص الناقة، فإنه يعتبر أذنيها علامة على نبلها. أمرو القيس وطرفة وعلقمة في أبيات متشابهة تناولت هذه الخاصية المميزة للإبل.

امرو القيس:

لَـــهُ أُذُنـــان تَعـــرِفُ العِتـــقَ فيهمـــا كســـامِعَتَي مَـــذعورهِ وَســـطَ رَبـــرَبِ

(المجاني٤١)

طرفه بن العبد:

مُوَلَّلتـــان تَعـــرِفُ العِتـــقَ فيهمـــا كســـــامِعَتي شـــــاهٍ بِحَومَـــــلِ

(المجاني٦٠)

علقمه الفحل:

لَـــهُ حرّتـــان تَعـــرِفُ العِتـــقَ فيهمـــا كســـامِعَتَي مَـــذعورهِ وَســـطَ رَبـــرَبِ

(المجاني، ٣٨٣)

وكما يتبين من الأبيات الثلاثة السابقة فإن كلمة "أُذُنَان ـ مُوَلّلتان ـ هُرّتان" تعني أذني الجمل، والتي يمكن من خلالها معرفة أصل الجمل، ولذلك أشار الشاعر إلى هذه الخاصية في الجمل. مع تغيير طفيف. ولا يتوقف عند وصف ناقته وجواره، بل إنه في بعض الأحيان يصف سرعة ناقته وبهجتها فيقول: كأن قطة مربوطة إلى جنبه تعضه باستمرار، أو كأنها تعضه. يقف في طريقه والجمل يركض، فيتفاعل ويزيد من سرعته، ولعل الجمل حسب خبرتهم يخاف من القطة فخوفه مما يؤدي إلى انحرافه عن المسار والتحرك بسرعة أكبر. وهذا الانحراف لناقة عن الطريق القويم مقرون ببشاشتها وبهجتها.

يقول عنترة بن شداد في وصف هذا الجمل: كأن بعيري ينحرف عن الهرة القوية التي على الجانب الأيمن، أي ينحرف عن مساره وهو مبتهج على الرغم من طول سنامه

وَكأنّمـــا تَنـــأي بجانِـــبِ دفِّهـــا الوَحشـــي مِـــن هَـــزَجِ العَشـــي، مـــوَوَّمُ
هِـــرٍّ جَنيـــبٍ، كلَّمـــا عَطَفَـــت لـــه غَضَـــبي أتَّقاهـــا بِاليـــدينِ وبِـــالفَم

(المجاني١٥٦)

أو هذه البيت من أمر القيس التي تتناول نفس الموضوع.

كـــأنَّ بهـــا هِـــرّاً جَنِيبـــاً تَجُـــرُّهُ بِكـــلِّ طَريـــقٍ، صَـــادَفَتهُ، ومـــأرِقِ

(المجاني٤٥)

ويقول المثقف العبدي أيضاً في وصفه للإبل بالحيوية والنشاط:

بِصـــادقةٍ الوجيـــفِ كـــأنَّ هِـــرّاً يباريهـــا ويأخُـــذُ بالوَضـــينِ

(المجاني١٩٨)

وتحتل أغاني الصيد والحرب، ذات المحتوى السحري، حيزاً كبيراً بين البدو. والواقع أن الصيد لم يعد يعتبر رياضة بين البدو بعد، بل يمارسونه بقصد جلب الغنائم. في بداية وصفه للصيد، يصف زهير بن سالمي فرسه الذي فُطِم، فكانت له أكتاف قوية ومتينة. ثم يتحدث عن مهارته في مطاردة الفريسة، حيث يصطادها دون حيلة أو. لا يزعج نفسه، ولكن عندما يرى فريسة، فإنه يركب عبده على ظهر حصان قوي ونحيف ويطارد الفريسة.

فَلَايـــأ بِلَـــأي مـــا حَمَلنـــا وَليـــدَنا علـــي ظَهـــرِ مَحبـــوكٍ ظِمـــاءٍ مفاضِـــلُه

(المجاني٩٢)

ومن شعراء هذه الفترة أيضاً امرو القيس الذي خصص جزءاً من قصيدته لوصف الصيد، فيتحدث أولاً عن الوقوف على الأطلال والمتحف الحبيب، ويسترجع ذكريات الماضي، ويغني في ذكرى تلك الأيام، ويذكر أنه كان يتبادل الذكريات مع حبيبته، فكانا إذا وصلا إلى بركة أو مرج أو أرض صيد، لجأوا إلى ملجأ، وكان امرو القيسي يذبح كل يوم ذبيحة لأصدقائه أو يذهب للصيد فيعود بصيد. وصف الخيول والصيد ومتع الحياة، ويبدو وكأنه يريد أن يستعرض بطولته وإتقانه في ركوب الخيل والصيد أمام حبيبته، فبعد وصفه

للحصان الحاد القوي السريع الرشيق في اصطياد العبيد، إلى الصيد، يكتب في بيت يشبه ما قاله زهير في وصف الصيد؛ عندما هرب الحيوان المصيد وهاجم العبد الحصان، يقول:

فَلَأيـــاً بِلَـــاي مـــا حَمَلنـــا غُلامَنـــا علـــى ظَهـــرِ مَحبـــوك السَّـــراهِ مُحَنَّـــبِ

(المجاني٤٢)

ويواصل زهير وصف مشهد الصيد، فيتحدث عن مهارة وسرعة عبده أثناء الصيد والمطاردة. وعندما اختفت الحمير الوحشية عن الأنظار، تتبع آثارها. يشبه الشاعر آثار الحمار الوحشي بالمطر الذي يسقط على التلال.

فَتَبَّـــعَ آثـــارَ الشِـــياهِ وَلَيـــدُنا كشُـوُوبِ غيـثٍ يحفِـشُ الأكـمَ وابِلُـه

(المجاني٩٢)

وكما في قصة زهير، يصف علقمة الفحل كزهير أيضًا صيده ومطاردته، ويشبهه بالأمطار المتواصلة.

فَـــأتبَعَ آثـــارَ الشِّـــياهِ بِصـــادقٍ حَثيـــثٍ كغيـــثِ الـــرَّائحِ المُتَحلِّـــبِ

(المجاني١٨٤)

وتظهر هذه التشابهات والتأثيرات ليس فقط في وصف الجمال والخيول، ولكن أحيانًا أيضًا في القصائد الملحمية. عمرو بن كلثوم الشاعر الفخور الملحمي يتحدث عن انتصاره في المعركة مع عمرو بن هند ملك الحيرة الذي لم يرحم حتى ملكاً مثل عمرو بن هند بل قتله ونزل عن جواده لقد ترك الخيول وشأنها، وقد فعل ذلك لأنه لم يكن هناك أحد آخر في ساحة المعركة يريد محاربته.

تَرَكنـــا الخيـــلَ عاكفـــهً عليـــه مُقَلَّـــدهً اَعِنَّتَهـــا صُـــفُونا

(المجاني١٣٠)

والمهاهل بعد أن انتقد قومه لقمعهم وإجبارهم على إشعال نار الحرب ضدهم، تحدث محلاهل عن انتصار وشجاعة جنوده، الذين أطلقوا خيولهم فوق رؤوسهم بعد معركة عنيفة وانتصار، وهكذا كانت الخيول مسترخية كما لو تم إطلاقها في بركة من الماء.

تَظـــلّ الخيـــلُ عاكفـــةً علـــيهم كـــأنَّ الخيـــلَ ثُـــرحَضُ في غَـــديرِ

(المجاني٢٧٦)

يشبه الشاعر الرماح التي تُلقى على العدو بحبال البئر.

كـــانَّ رمـــاحَهم أشـــطانُ بِئـــرٍ بَعيـــدٍ بـــينَ جالَيهـــا جَـــرورِ

(المجاني٢٧٦)

كما استخدم أنترا نفس التشبيهات في الشعر الملحمي، حيث شبه الرماح التي ضربت رأس حصانه وصدره بحبال بئر ماء.

يـــدعُونَ عنتـــره و الرّمـــاحُ كأنهـــا أشـــطانُ بِئـــرٍ في لَبـــان الأدهَـــمِ

(المجاني١٦١)

الخاتمة:

وتشير النتائج إلى أن عناصر التأثير والتأثر في الأدب الجاهلي كانت ذات تواتر مرتفع، بحيث كان الشاعر في بعض الأحيان يقتبس بشكل مباشر بيتاً أو أبياتاً من شاعر آخر أو يتحدث عن مواضيع وقضايا مشابهة. إن الجمل من الحيوانات التي تشكل جزءاً لا يتجزأ من حياته، لذلك فهو لا يبخل في وصفه ويصفه بأفضل ما يمكن. ويشير معظمهم إلى هذا النوع من الحيوانات باعتباره منقذهم في الأوقات الصعبة والحزن. ولم يكتفوا بالتحرك في نفس الاتجاه في وصف الجمل، بل وفي وصف الحصان وغيره من الحيوانات أيضاً، والتشبيهات التي استخدموها في هذه الحالة توضح بشكل أكبر مبدأ التأثير هذا. إن قصة الثور البري والكلاب والصيادين التي نجد في شعر هذه الفترة تأثيراً خاصاً، وقد تناوله شعراء مثل لبيد، ونجابغة، وحتى علقمة، بشكل جيد، ونظروا إلى هذه القضية من زوايا مختلفة ومتشابهة تقريباً. ونظراً للظروف والبيئة التي عاش فيها، يستخدم الشاعر أحياناً في تشبيهاته تشبيهات ملحوظة في الطبيعة من حوله، على سبيل المثال، يقارن سلوك المرأة في منتصف العمر بحركة السحب الحمراء الخالية من المطر في الجنوب. أو صوت الأساور والدروع. ويصف الشاعر أحيانًا الصيد في أجزاء ومقاطع من قصائده. وقد صور شعراء مثل عمرو القيس وزهير وعلقمة هذا المشهد في أبياتهم. لذلك تبين نتائج هذا البحث أن

الارتباط بين الشعراء من جهة، وتشابه ظروفهم البيئية وحياتهم من جهة أخرى، جعلهم يتأثرون ببعضهم البعض في تأليف قصائدهم، ونشأ نوع من التشابه اللفظي والدلالي. وقد تم إنشاؤها في قصائدهم.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم.

١. علي پور، اسماعيل(١٣٨٥)، وصف اسب وشتر در شعر جاهلي، پايان نامه كارشناسي ارشد، دانشگاه آزاد إسلامي، واحد تهران مركزي.
٢. فروخ، عمر(١٩٨١)، تاريخ الادب العربي، الجزء الأول، الطبعه الرابعه، مصر، دارالعلم الملايين؛ .
٣. گراوند، مجتبي(١٣٩٠)، بررسي برخي رفتارهاي حاكم بر جزيره العرب پيش از إسلام، نشريه تاريخ نو، بهار و تابستان.
٤. صادق الرافعي، مصطفي(١٩٩٧)، تاريخ آداب العرب، الجزء الثاني، مكتبه الايمان، الطبعه الأول.
٥. الحاج حسن، حسين(١٩٩٨)، الاسطوره عند العرب في الجاهليه، الموسسه الجامعيه للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.
٦. النوتي، زكرياعبدالمجيد(٢٠٠٤)، الثور الوَحش بينَ النابغه و ذي الرُّمَّه، الطبعه الأولى، القاهره.
٧. لطفي جمعه، محمد(٢٠١٢)، الشهاب الراصد(نقد الادب الجاهلي طه حسين)، موسسه الهندواي، القاهره.
٨. بحري، خداداد، مهتدي، حسين(١٣٨٨)، تاثير حيوانات اهلي بر شعر جاهلي با تكيه بر كتاب «مفضليات»، مجله ادب عربي، شماره٢، پاييز و زمستان.
٩. افخمي عقدا، رضا، تحليل اساطيري تصوير گاو وحشي در شعر جاهلي، مجله زبان و ادبيات عربي، شماره١، پاييز و زمستان، ١٣٨٨.
١٠. ـــــــ، نگاه نمادين به حضور شتر در شعر دوره جاهلي، مجله ادب عربي، سال٣، شماره٣، زمستان، ١٣٩٠.
١١. شكيب، محمود، مقديمي، يعقوب، بررسي تطبيقي اسب در اشعار امروالقيس و منوچهري دامغاني، بهارستان سخن(دو فصلنامه علمي ـ پژوهي ادبيات فارسي) سال هفتم، شماره ١٧، بهار و تابستان١٣٩٠.
١٢. الطيب، عبدالله، المرشد إلى فهم اشعار العرب و صناعتها؛ مجلدان، بيروت، دارالفكر، ٢٠٠٠م، ١٤٢٠هـ.

١٣. زگري نژاد، غلامحسين، تاريخ صدر إسلام، سازمان مطالعه و تدوين كتب علوم انساني دانشگاهها(سمت)، چاپ سوم، زمستان١٣٨٤.
١٤. جعفريان، رسول، تاريخ سياسي إسلام، قم، انتشارات دليل ما، چاپ دوم، بهار ١٣٨٢.
١٥. رضايي، ابوالفضل، ضيغمي، علي، الوجيز في تاريخ الادب العربي، انتشارات؛ جهاد دانشگاهي واحد تهران، چاپ سوم، زمستان١٣٩٣.
١٦. الفاخوري، حنّا، ترجمه؛ آيتي، عبدالحميد، تاريخ ادبيات زبان عربي از عصر جاهلي تا قرن معاصر، تهران، انتشارات توس، چاپ پنجم، ١٣٨١.
١٧. براتي، فرهاد، سعيدي، سهراب، بررسي جايگاه استعاره و انواع تشبيه در شعر جاهلي عرب، پژوهشنامه اورمزد، شماره ٥٥، تابستان١٤٠٠.
١٨. طاهري، بهرام، شاعران جاهلي در شعر امير معزي، قم، اسماعيلين.
١٩. جاودان، محمد، پايان نامه تشبيه در شعر دوره جاهلي، استاد راهنما؛ دكتر محمد شيخ، استاد مشاور، وصال ميمندي، دانشگاه سيستان و بلوچستان، دانشكده ادبيات و علوم انساني، ١٣٩٢.
٢٠. افرام البستاني، فواد، المجاني الحديثه عن مجاني الاب شيخو، الجزء الأول في العصر الجاهلي، طبعه رابعه، دارالمشرق، بيروت:١٩٩٣.
٢١. ضيف، شوقي، الفن و مذاهبه في الشعر العرب، الطبعه الحاديه عشره، دارالمعارف، القاهره، ١١١٩م.
٢٢. موسوي بفرومي، محمد، ترجمه اشعار المجاني الحديثه جلد اول، ناشر؛ انتشارات دانشگاه سمنان، چاپ دوم، پائيز١٣٩٢.
٢٣. مدرسي، كمال الدين، شرح معلقات دهگانه، موسسه انتشارات حسيني اصل، چاپ دوم١٣٩١.
٢٤. آيت، هدا، تأملي در خلقت شتر از ديد قرآن وعلم، مجله پژوهش هاي علم ودين، بهار و تابستان١٣٩٥.
٢٥. رضايي آدريايي، ابراهيم، اسكندرلو، محمدجواد، شگفتي هاي آفرينش شتر از منظر قرآن و علم، مجله:قرآن و علم، بهار و تابستان؛ ١٣٩٤